مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : …-….. Issn : 2353-043X
المجلد 04/ العـدد 01: (2017)، ص 220- 239

عوامل التوافق الزواجي من سيرة النبي (ص) الزوجية

الأستاذة: نزيهة بو القمح
جامعة ابو القاسم سعد الله- الجزائر.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى البحث عن عوامل التوافق الزواجي من سيرة النبي (ص) الزوجية من خلال دراسة تحليلية برؤية نفسية لسيرة النبي (ص) الزوجية ومحاولة استنباط أهم العوامل التي ساعدته على التوافق مع اثنا عشرة(12) زوجة. و قد توصلنا في دراستنا إلى أن عوامل التوافق الزواجي المستنبطة من سيرة النبي(ص) الزوجية و عددها12 عاملا هي نفس عوامل التوافق الزواجي التي تناولتها الدراسات المختلفة في علم النفس و علم الاجتماع و هي كالآتي بدون ترتيب: (العوامل السلوكية، العاطفية، الدينية، الاقتصادية، فارق السن بين الزوجين، العامل الجنسي عامل الحوار، الاختيار، السكن المستقل، مدة الزواج، وجود الأطفال، بعض سمات الشخصية و النضج الانفعالي.

Abstract:

This study aimed to find the factors of marital adjustment from the Prophet MOHAMED (r) marital life through an analytical study of the psychological vision of the biography of the Prophet (r) marriage and try to deduce the most important factors that helped him to agree with his twelve (12) wives.Our study indicates that the marital adjustment factors derived from the Prophet's marital life (with 12 wives) are the same as the marital adjustment factors discussed in the various studies in psychology and sociology. They are as follows: Behavioral, emotional, religious, economic age difference, sexual factors, dialogue, choice, independent housing, Duration of marriage, the presence of children, some personality traits and emotional maturity.

الكلمات المفتاحية: الزواج، التوافق، التوافق الزواجي، السعادة الزوجية، التوافق النفسي

عوامل التوافق الزواجي من سيرة النبي (ص) الزوجية

مقدمة:

السعادة مطلب كل إنسان و ليس هناك عاقل لا يتمناها في حياته، و حياة الإنسان ترتبط بغيره لأنه كائن خلقه الله بطبع اجتماعي و فطرته و غريزته تقتضي الزواج و تكوين أسرة مع من اختارها شريكة لحياته،" و يعتبر الزواج علاقة رسمية بالنسبة للفرد الراشد فهو خطوة محورية في حياته لأنه السبيل الذي يسلكه ليلتمس شريكا يجد عنده الحب و الدفء و الوفاء و الصدق، و يحقق له السعادة الشخصية المتبادلة. " (kiecolt G, 2001)

و لكن الأسرة كغيرها من المؤسسات الاجتماعية تتعرض لمشكلات تهدد العلاقة بين الزوجين تؤدي في أسوء الأحوال إلى الطلاق. لذا فقد عنى علم النفس بدراسة الأسرة و أهم المشكلات التي تواجهها بهدف البحث في الحلول الممكنة لضمان استقرارها و توافقها، كما وضع الإسلام الأسس السليمة التي ينبغي أن تقوم عليها الأسرة بداية بنواتها الأولى (الزوجين)حيث يقول تعالى سورة الروم " وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ **خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةَ** إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونْ." الروم 21

انطلاقا من الآية الكريمة نلاحظ أن أساس الأسرة هو **نفس واحدة خُلق منها زوجها** ليسكن إليها فيعيشا تحت ظلال المودّة و الرحمة التي جعلها الله بين الزوجين.، طريقة الخلق هذه تعطينا الفكرة الأساسية عن قدسية العلاقة الزوجية و عن **أهمية التوافق الزواجي** هذا الأخير الذي يعرفه بيومي خليل(2006) " بأنّه درجة التواصل الفكري الوجداني و العاطفي و الجنسي بين الزوجين مما يحقّق لهما اتخاذ أساليب توافقية سوية تساعدهما في تخطّي ما يعترض حياتهما الزوجية و تحقيق أقصى قدر معقول من السعادة" (بيومي م، 1999ص21)

و كما أشرنا سابقا فالحياة الزوجية لا تخلو من المشاكل و المنغصات و ذلك لتأثرها بعوامل متداخلة فيما بينها حتى بات من الصعب معرفة أي هذه العوامل أكثر تأثيرا عليها، و أيّها يوصل الزوجين لتحقيق السعادة في حياتهما و بالتالي تحقيق "التوافق الزواجي" لكن و للأسف الشديد يبدو أن هذا الأخير أي " التوافق الزواجي" هو من المواضيع التي لا يعتقد بها الكثيرون، و ذلك مردّه كما أسلفنا الذكر للخلافات العديدة و المشاكل المتنوعة التي تعيشها الأسر والأزواج على وجه الخصوص تؤدي بها في أسوء الحالات إلى الطلاق و آفاته، أو إلى حياة زوجية تعيسة و غير مستقرة تقول عزّة

العشماوي(2007) " يبدو كما لو أن الزواج هو التجربة الوحيدة التي لا يستفيد منها أحد...نحن نعيد نفس الأخطاء التي سبق أن رأيناها، نعلم أنها أخطاء و لكننا نكررها..."(عزة ع،2007ص4) و نحن في هذا المقام نتفق مع عزة(2007) و نرى بأن سناريو المشاكل الزوجية يكاد يكون نفسه في مختلف الأسر التي تعاني من الشقاق و بالتالي فنحن في حاجة ملحة لسناريو حياة زوجية مستقرة وهادئة تنعم بتحقيق السعادة بين أفرادها، نتعلم منه و نقتدي به و نسلك وفقه لتحقيق التوافق الزواجي في مجتمعنا الجزائري الذي يعاني أزواجه من سوء التوافق شأنه في ذلك شأن المجتمعات العربية الأخرى.

و لأجل هذا ارتأينا البحث عن عوامل التوافق الزواجي من "زوج" **عاشه و حققه في حياته** لنحدد الخطوات التي تساعدنا على التوافق، و ليس هناك أحسن قدوة من نبيّنا محمد صلى الله عليه و سلم الذي تزوج اثنا عشرة زوجة و كان متوافقا مع كل زوجاته على الاختلافات العديدة التي بينهن في جوانب كثيرة، و عليه فهو المثال الوحيد الذي ينبغي الاقتداء به لأننا مسلمون من جهة حيث أن الإسلام سنّ القواعد و شرّع التعاليم التي تثبت الحياة الزوجية انطلاقا من " **المودة و الرحمة** " و بما أنّ الإسلام هو الدين الوحيد المنزّه من التحريف، الصافي بكلام الله من الجهة الثانية فتعاليمه التي تخصّ العلاقة الزوجية هي التعاليم الصحيحة و السليمة حسب اعتقادنا، و قد طبقها الرسول(ص) في حياته على أشكال عديدة (عدد زوجاته)حيث نجد في سيرته الزوجية أدق التفاصيل التي ترشد الأزواج و تعلمهم السلوك السوي الذي نحقّق من خلاله التوافق مع النفس و مع الطرف الآخر و القدرة على التكيّف و بالتالي الصّحة النفسية، و بتعبير آخر فكل التعاليم و الإشارات التي سنّها الإسلام نظرية إن صح القول و إن بحثنا عن طرق تطبيقها وجدناها في حياة المعلم الأول رسولنا الكريم -(أحسن زوج في العالم)-

و تحديد هذه العوامل من سيرته مطلب أساسي و إضافة لعلم النفس حسب اعتقادنا، خاصة في مجال الصحة النفسية للأسرة ذلك لأن التوافق الجيد للزوجين ينعكس بالإيجاب عليهما معا و على أطفالهما، حيث ترى سناء سليمان(2005) "**أنّ انخفاض درجة التوافق الزواجي** إن لم يؤد إلى الطلاق فهو تربة خصبة **للنزاعات والخلافات بين الزوجين** التي إن حدثت بصورة مستمرّة أمام الأبناء فإنّها ستؤدي إلى **بذر شعور الاكتئاب والتوتر في نفوسهم و انعدام إحساسهم بالأمن**، مما يؤدي إلى

عدم استقرار الأسرة و انهيارها فيتدنى المستوى الدراسي للأبناء، و قد ينخرطون في أنشطة غير سوية".

لقد تناولت بعض الدراسات حياة النبي(ص) الزوجية لكن معظمها إن لم نقل كلها تعتبر دراسات شرعية تحث على الالتزام بالحقوق و الواجبات بين الزوجين من وجهة نظر فقهية، ونادرة بل شبه مفقودة تلك التي بحثت لتحديد عوامل التوافق الزواجي من زيجات النبي كلها من منظور علم النفس وهذا حسب حدود اطلاعنا طبعا وعليه سنشير لبعض الدراسات التي تناولت جوانب معينة من موضوع بحثنا كدراسة"حسين بن علي " (2002)عن " الأساليب المستنبطة من تعامل رسول الله (ص) مع زوجاته وآثارها التربوية " إذ توصل الباحث إلى أنّ منهج الرسول(ص) في التربية و**حسن تعامله مع زوجاته** قد حقّق أهدافا تربوية بإقامة بيت نموذجي رغم تعدد الزوجات. و أنّ عدم استخلاص هذه الأساليب التربوية هو الذي جعل كثيرا من المربين يعتمدون على التربية الغربية.، إن هذه الدراسة على أهميتها لم تحدد العوامل الأساسية التي تؤدي لتحقيق التوافق الزواجي و لم تعمد إلى تحليل الفروق الجوهرية بين الزوجات و سرّ توافق النبي معهن كلّهن، بل اكتفت بالبحث في زاوية معينة و هي الجانب التربوي...و حتى هذا الجانب لم يفصل الباحث في الخطوات التربوية التي ينبغي الاعتماد عليها و إتباعها لضمان تحقيق السعادة للزوجين و لأطفالهما و لو بشكل نسبي، إلا أنه أشار إلى حسن تعامل النبي مع زوجاته والتي تدخل تحت إطار العوامل السلوكية التي تؤدي لتحقيق التوافق الزواجي.

و سنشير فيما يلي لبعض الدراسات النفسية التي تناولت موضوع التوافق الزواجي، نذكر منها دراسة "بلميهوب(2006)" عن العوامل المسهمة في الاستقرار الزواجي" حيث وجدت بأن من عوامل التوافق الزواجي العلاقة الجيدة بأهل الزوج(ة) و كذا بالوالدين و الدور المهم لكلّ من المستوى التعليمي و الاقتصادي والحالة الصحية و أن التوافق الزواجي يتأثّر بكل من الشعور بالحب وبالصحة والقدرة على البوح بالمشاعر....إلخ

لقد ألمّت الباحثة في هذه الدراسة بمختلف العوامل التي تسهم في تحقيق الاستقرار و هذه العوامل متفاعلة فيما بينها و لا يمكن القول بأن هناك عاملا واحدا هو المؤثر، و دراستنا الحالية تشبه من حيث الهدف دراسة "بلميهوب"(2006) غير أنها تختلف عنها في كونها تسعى لتحديد هذه العوامل من سيرة النبي الزوجية على اعتباره القدوة المثلى و المعلم الأول بتطبيقه لتعاليم إلهية ذات منهج متكامل.

كما بينت بعض الدراسات أهمية عامل التدين في العلاقة الزوجية و إسهامه في تحقيق التوافق الزواجي منها دراسة القشعان (2005) عن الاعتدال في التديّن لدى الزوجين و دوره في إيجاد التكافل و الرضا في العلاقة الزوجية حيث وجد بأنّ الأفراد الأكثر تديّنا كانوا أكثر رضا في علاقتهم الزوجية، و قد أرجع ذلك إلى أنّ الدين الإسلامي لا يقتصر على العموميات فقط في العلاقة الزوجية و إنّما عالج أدقّ التفاصيل في التعامل بين الزوجين في حياتهما اليومية. و هو ما أكدهGiblin paul(1996)في دراسته عن وجود علاقة إيجابية و دالّة بين التوافق الزواجي و الأسري والتديّن و نفس ما وجدته عمرون(2010) في دراستها عن أثر التدين في التوافق الزواجي لكن حتى و إن كانت هناك علاقة إيجابية لعامل التدين في تحقيق التوافق الزواجي فإنه ليس الوحيد، و كما سبق الإشارة في دراسة بلميهوب (2006) فعوامل التوافق الزواجي متفاعلة فيما بينها و يبقى التركيز فقط على عامل التدين تقصير و إغفال لباقي العوامل الأخرى كالحوار مثلا فلقد كان الرسول(ص) يحاور زوجاته و يستمع إليهنّ و ينصت. و قد " بيّنت الدراسات منها دراسة kurdeck(1991) أنّ الأزواج الغير سعداء يرون أنّ مشاكل الاتصال هي من أهم المشاكل التي أدت إلى تحطيم علاقاتهم" (بلميهوب م،2006ص 34) كما اعتبر انعدام الحوار بين الزوجين من الأسباب المباشرة المؤدية للطلاق وفقا لما ورد في دراسة أعدّتها لجنة إصلاح ذات البين(2003)(جودة س، 2009ص88) و وفقا لدراسة باكر(2004) التي وجدت بأن انقطاع الحوار بين الأزواج سبب رئيسي في حدوث الانهيار الزواجي.

و من بين العوامل التي تناولتها الدراسات السابقة كذلك نذكر مشاركة الأزواج في المسؤوليات الأسرية و المستوى التعليمي المتكافئ للقرين وفقا لما جاء في دراسة ماجدة (2005)، و كذا أهمية السكن الفردي حسب دراسة حاج زيان وهيبة (2005) و مسعودة كسال (1986). بالإضافة إلى أهمية بعض العوامل الاقتصادية كما جاء في دراسة Eur (2004)، و جاء في دراسة مرسي و المغربي(2005)أن الإقامة المستقلة (السكن الفردي) و المستوى التعليمي و كذا المستوى الاقتصادي، و المكانة الاجتماعية لمهنة الزوج من أهم المتغيرات المنبئة بالتوافق الزواجي.

مجمل الدراسات التي تمّ الإشارة إليها على سبيل التمثيل لا الحصر بحثت عن بعض العوامل المؤدية إلى التوافق الزواجي و ركّزت على بعض المتغيرات التي تؤثر فيه" كالتدين و الحوار، و المستوى الاقتصادي ..." و أهملت جوانب أخرى، ودراستنا الحالية **تهدف إلى محاولة الإلمام بكلّ ذلك** بمعنى أنّها تبحث لتحديد أهم العوامل المؤدية إلى تحقيق

عوامل التوافق الزواجي من سيرة النبي (ص) الزوجية

التوافق الزواجي و ليس دراسة دور أو أثر متغيّر واحد فيه "كالتدين أو الحوار..." و ذلك بالرجوع إلى هدي سيّد البشر وما جاء على لسانه من الذكر العظيم الذي وضع الضوابط التي ينبغي أن تؤسس عليها الأسر والشروط التي تحكم هده العلاقة الإنسانية لتنظمها و الحقوق و الواجبات المتبادلة بين الزوجين لضمان حياة مطمئنة و سكينة ربانية.

و عليه و على ضوء ما سبق التعرّض إليه تتحدّد إشكالية البحث في التساؤل التالي:

. ما هي عوامل التوافق الزواجي التي يمكن تحديدها من سيرة النبي(ص) الزوجية ؟

. فيما يخص فرضيات البحث:

ينبغي الإشارة إلى أن بحثنا لا يحتوي على فرضيات، هذه الأخيرة التي تعرف بأنها حل أو جواب مؤقت لإشكال البحث حيث جرت العادة أن يقوم الباحث بعد ملاحظته للظاهرة موضوع البحث بطرح تساؤلات الدراسة ثم يقترح حلولا مؤقتة لها،لكننا في بحثنا الحالي نسعى لتحليل سيرة النبي الزوجية برؤية نفسية بهدف استنتاج العوامل التي أدت إلى توافقه الزواجي و عليه فطبيعة البحث تقتضي عدم طرح فرضية لأنه **بحث مسحي**[1]" و هو الذي يطبق **لمعرفة** حقائق تفصيلية عن واقع الظاهرة المدروسة و **تحديد** المشكلة **وتقديم** براهين على سلوكيات واقعية و أوضاع راهنة **و إصدار** أحكام تقويمية على واقع معين و **تحليل** نتائج معينة بهدف الاستفادة منها." (شاكر س، 2005ص 156) و لقد تقيدنا في بحثنا بالخطوات المنهجية التي تؤطر البحث العلمي، و هذا النوع من البحوث التي لا تتطلب فرضية نجده خاصة في **البحوث الأساسية** التي لا تحتوي على دراسات سابقة، أو في البحوث التجريبية و دراستنا الحالية على الرغم من وجود دراسات كثيرة عن التوافق الزواجي في ضوء العديد من المتغيرات، إلا أنها و من حيث الهدف و المحتوى تعتبر بحثا أساسيا لعدم وجود دراسات تناولت هذا الموضوع بمتغيراته الحالية وهي: " تحديد عوامل التوافق الزواجي من سيرة النبي(ص) "

و لقد اعتمدنا في هذا الطرح للبحث على مرجعين في منهجية البحث أولا: يرى بن مانع(1983) "أن هناك بعض البحوث التي لاتحتاج لفرضية، إذ تكون الفرضية هي النتيجة التي يتحصل عليها الباحث من دراسته ... فما الفائدة المرجوة من فرض لا

[1]) كما يطبق البحث المسحي لمعرفة بعض الحقائق التفصيلية عن واقع الظاهرة المدروسة، ولاتخاذ قرارات بشأن أمور متشابهة و لتوضيح ماهية المشكلة المراد دراستها بمراجعة الدراسات السابقة و تحليل المعلومات و تفسيرها، و توضيح كيفية تصميم البحث و تحديد خطواته. (نفس المرجع أعلاه)

يخدم بحثه إن المهم هو التزام الباحث بالمنهج العلمي، و كل نتيجة جديدة هي إضافة للعلم. (بتصرف بن مانع ر،1983 ص 228) كما يرى عبد المنعم(1988) أن العلم هو حصيلة الفكر و الملاحظة و التجربة و لا بدّ فيه من منهجية و منهج يساعد الباحث على استثمار فكره...و ما يميز البحث في العلوم الإنسانية هو تعدد مناهجها، لأن موضوعها و هو النفس من أصعب المواضيع على الإطلاق، و لذا ينبغي أن لا يتقيد الباحث بما يعرقل بحثه و يحدّ من تفكيره...و كيف يفترض الباحث حلا مؤقتا و يقضي مشواره لإثباته أو نفيه و الحل الحقيقي مخبأ في خلاياه الفكرية. (بتصرف عبد المنعم م، 1988)

المنهج المستخدم:

اعتمدنا على منهجين وجدنا بأنهما الأنسب لموضوع الدراسة، وهما **منهج تحليل المحتوى و المنهج الوصفي** حيث يساعد هذا الأخير على الوصف الدقيق للظاهرة و التعرف عليها و تفسيرها، أما منهج تحليل المحتوى " فهو أسلوب منظم لتحليل مضمون رسالة معينة و هو أداة لملاحظة و تحليل السلوك الظاهر، و يهدف للتصنيف الكمي لمضمون معين..(كمال ز،2004)

. **العينة:** كانت العينة في الدراسة غير أساسية حيث قمنا بالاعتماد على السيرة التاريخية لحياة النبي(ص) كبشر ثم كزوج و كذا سيرة زوجاته الاثنتا عشر(12) بهدف تحليل محتوى حياتهن مع النبي(ص) برؤية نفسية لتحديد أهم العوامل التي ساهمت في استقرارهن الزواجي مع سيدنا محمد(ص)

عرض و تحليل النتائج:

<u>سؤال الدراسة:</u> ما هي عوامل التوافق الزواجي التي يمكن تحديدها من سيرة النبي الزوجية؟

قبل الشروع في عرض نتائج دراستنا لا بدّ أولا من التعريج على بعض المعلومات الأساسية في السيرة النبوية الزوجية لضمان فهم أفضل، منها أن سيدنا محمد (ص) **كبشر** تزوج مرّة واحدة من السيدة خديجة بنت خويلد. و بعد وفاتها تزوج باقي نسائه و هو محمد **النبي و البشر**، منهن من اختارها لأغراض معينة و منهنّ من تزوجها بأمر إلهي، و زوجاته حسب ترتيب زواجه بهنّ هنّ: " خديجة، سودة، عائشة، حفصة زينب، هند (أم سلمة)، زينب جويرية، صفية، رملة (أم حبيبة)، مارية، ميمونة" و كانت السيدة عائشة رضي الله عنها أصغر نسائه و أحبهن إلى قلبه بعد خديجة، و لقد قمنا بدراسة

عوامل التوافق الزواجي من سيرة النبي (ص) الزوجية

سيرة النبي الزوجية من خلال سرد تاريخي لحياة كل زوجة على حدى محاولين التركيز على حياتهن الزوجية مع النبي، ثم المناقشة و التعليق و التحليل الذي حددنا به أهم **عوامل التوافق الزواجي في حياة النبي(ص) الزوجية** و لا يسعنا في هذا المقام التعرض لحياتهن بالتفصيل و بالتالي سنعرض العوامل المستنتجة و عددها اثنا عشرة عاملا و هي: عامل الاختيار، العوامل السلوكية العاطفية، الدينية الاقتصادية، العامل الجنسي، عامل الحوار، السكن المستقل، مدة الزواج، وجود الأطفال، بعض سمات الشخصية و النضج الانفعالي، فارق السن بين الزوجين.

1. عامل الاختيار:

في زيجات النبي(ص) كلها سواء مع خديجة و ميمونة اللتان اختارتاه، أو عائشة و زينب اللتان اختارهن الله، أو اللاتي اختارهن هو حسب المواقف المختلفة المذكورة في السيرة كان أهم عامل في هذا الاختيار هو الدين و الخلق، و في طلاقه من حفصة لم يشفع لها في رجوعها إلى النبي(ص) غير دينها و خلقها وبالتالي يعتبر **الاختيار الجيد** من المؤشرات الدالة على التوافق الزواجي و هو العامل الذي نجده يتردد مع كل نساء النبي(ص) ولذا توافق وحقق معهنّ السعادة. و الاختيار الزواجي السليم يعد أولى الخطوات التي تعمل على تحقيق التوافق الزواجي و حتى يكون الاختيار سليما تشترط عطيات(1997) أن تتوافق في الفرد الحرية و الإرادة الكاملة و العقل الناضج. ولقد حدد الإسلام أسس الاختيار السليم على أساس الدين و الخلق سواء بالنسبة للرجل أو المرأة لأن هذين العاملين يعتبران عاملين ثابتين في شخصية الإنسان، أما عامل جمال المرأة الذي ورد في الحديث فقد يزول في أي لحظة بفعل مرض أو أي حادث و مصير كل واحد هو الشيخوخة إن كان من المعمرين أما المال فهو كذلك زائل تحت أي ظرف من الظروف و بالتالي فالثابت الوحيد هو **الدين و الخلق** الذي يتحلى بهما الانسان، فالزواج ليس سفرا ينتهي في يوم مابل هو قرار مصيري يربط حياة الإنسان بطرفه الثاني و بالتالي ينبغي أن يكون الاختيار سليما و بنآءا حتى يحقق الفرد التوافق و السعادة المرجوة من الزواج، ولقد أكدت عدة دراسات أهمية التدين في تحقيق التوافق الزواجي منها دراسة عمرون(2010) و دراسة الطاهرة(2004) و دراسة القشعان(2007)

2. العوامل السلوكية:

عُرف النبي(ص) بنبل أخلاقه إذ يقول تعالى " **و إنّك لعلى خلق عظيم**" القلم4 و كذلك " **و لو كنت فظا غليظ القلب لانفظوا من حولك**." آل عمران159و هذا دليل

من الله تعالى على الأخلاق الطيبة التي كان يتحلى بها النبي(ص) و على لينه و عطفه في التعامل ما جعل الناس يلتفون من حوله، فما بالك بأهل بيته و هو يقول "خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي"(رواه مسلم) وعليه **فالعوامل السلوكية الإيجابية هي** التي ساعدت النبي(ص) على إقامة كل هذه البيوت و إعمارها بالسعادة و التوافق، و في المقابل كانت زوجاته يسلكن معه سلوكات إيجابية كلها احترام و مساندة و تعاون فلا يخفى علينا موقف السيدة خديجة عند نزول الوحي على النبي حين جاءها فزعا فضمته لصدرها و خفّفت عنه خوفه، كما لا يخفى وقوفه مع مارية و تخفيف غربتها أو مع صفية التي عانت من غيرة نسائه اللواتي لقبنها باليهودية، أو سلوكه مع عائشة عندما قلبت جفنة الطعام برجلها ليبرر للصحابة غارت أمكم... و غيرها من المواقف كثير و في هذا يرى كمال(2006) " أن التوافق الزواجي يكون حسنا إذا كانت سلوكيات كل من الزوجين مقبولة من الزوج الآخر" و نتفق مع كمال (2006) في رأيه فهذا ما لمسناه بشكل ملفت للنظر في حياة النبي(ص) الزوجية و هذا ما ساعده على التوافق مع هذا العدد من النساء، لأن العلاقة بين الزوجين ليست علاقة سيطرة وخضوع بل مشاركة و الأساليب غير سوية في التعامل تلعب دورا كبيرا في سوء توافق الزوجين في حياتهما " (بتصرف بلمهوب ك،2006 ص 110)

3ـالعوامل العاطفية:

لقد كانت بيوت النبي تفيض بكل أنواع الحب، و تعتبر قصة حبه لخديجة حسب اعتقاد الباحثة من أروع قصص الحب التي عرفتها الإنسانية، فعلى الرغم من فارق السن الواضح بينهما إلاّ أن حبهما ظل خالدا ليومنا الحالي إذ سميت سنة وفاتها بعام الحزن لشدة حزن النبي(ص) عليها، و بقي النبي يذكرها بعد وفاتها و لا يقارنها بأي امرأة من نسائه حتى مع حبيبته عائشة حيث قال لها " إني رزقت حبها" و تعتبر **العوامل العاطفية أساسية** في استقرار و ثبات العلاقة الزوجية، فهي التي تغدي و تدعم استمرارية الحياة الزوجية لقوله تعالى: " و من آياته أن خلق لكم من **أنفسكم** أزواجا **لتسكنوا** إليها و جعل بينكم **مودة** و **رحمة** إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون" الروم21 إن المتأمل لكلمات الآية الكريمة يجدها كلها معاني عاطفية، و قد وردت هذه الآية بصفة خاصة للزوجين إذ تعتبر المودة و الرحمة من أعلى درجات الحب التي تؤدي لتحقيق السكينة و بالتالي الصحة النفسية. و الحب في حياة النبي(ص) لم يكن للسيدة خديجة فحسب بل كان لعائشة النصيب الوافر منه و كان يجيبها لمّا تسأله (كيف حبك لي)

قوله "مثل عقدة الحبل" و لمّا سأله أحد الصحابة من أحب الناس إليك أجابه عائشة، و حتى مع باقي نسائه كانت عاطفته حاضرة دائما يشعرهنّ بحبه لهنّ و رفقه الدائم عليهنّ ما جعلهنّ يتعلقن به و يتنافسن على حبه و إرضائه.... فالمرأة إذا ما وجدت الحب في حياتها الزوجية فتلك هي سعادتها"، و لقد أثبتت الدراسات أن الحاجة للحب و التقدير تعتبر من أهم الحاجات التي يشبعها الزواج، و يرى دوسينغلي De singly (1993) أنّ **الحب** قد يكون مبررا كافيا يمكن أن يقوم عليه الزواج... و أن لمشاعر الحب دور بارز في استراتيجيات الزواج لما يرسخه من حس مشترك بين الزوجين، و يلح على المشاعر العاطفية كعنصر محوري في ظاهرة الزواج." كما يعتبر **الحب أساس العلاقة** الزوجية الناجحة، و هو ضروري و مفيد لما يوفره من استقرار و راحة و انسجام بين المتزوجين." (غالب2003 ص 147)و عليه نستنتج أهمية **العوامل العاطفية** في ثبات و استقرار الحياة الزوجية و في تحقيق التوافق الزواجي، و القدرة على الحب والتعبير عنه دليل على الصحة النفسية حسب اعتقادنا.

. ترى الباحثتان أن العوامل السلوكية ترتبط أحيانا بالعوامل العاطفية، فالشعور بالحب وحده غير كاف بل يجب أن يعبر الإنسان عن هذا الشعور و يسلك **السلوكات الإيجابية** التي تبرهن عليه، حتى يفهم قرينه ذلك فسلوك النبي الإنساني هو الذي جعل الناس يحبونه و يلتفون حوله خاصة نساءه. و عليه فالعوامل العاطفية و السلوكية يمكن أن نصنفها تحت إطار المعاملة الإنسانية.

4. العوامل الدينية:

نجد عامل التدين جد مهم و أساسي في استقرار حياة النبي(ص) الزوجية مع كل نسائه، فإيمان السيدة خديجة بزوجها نبيا للأمة و مساندتها له و قيامها بالعبادات و الطاعات التي كان يعلمها إياها، من الأمور التي زادت من تعلق النبي بخديجة و حبه لها حيث يقول في ذلك " آمنت بي إذ كذّبني الناس"، كما أنّ السيدة حفصة في حادثة طلاقها من النبي(ص) لم يشفع لها عند النبي و هو المعروف باللين و الرفق و السماحة إلا تدينها حيث قال له جبريل " ردها فإنها صوامة قوامة"، و صفية التي كانت تحاول استدراك ما فاتها من الإسلام فأعجبت النبي بتدينها، و زينب التي كانت تصبغ و تدبغ ثم تبيع و تتصدق بالمال الذي تجنيه، و عائشة التي حفظت سيرة النبي و كانت المعلم من بعده...و كلهن صاحبات دين، و على الرغم من أنهن زوجات نبي و بطبيعة الحال يكون تدينهن جيدا و له تأثير على حياتهن الزوجية إلا أنه لا يمكن إنكار دور العامل الديني في

استقرار العلاقة الزوجية لأنه يعطي لهذه الأخيرة بعدا نفسيا و عقائديا و يصطبغ بقدسية معينة، خاصة إذا مارس الزوجان مع بعضهما البعض بعض العبادات فهذا يزيد من قوة علاقتهما و ارتباطهما النفسي، إذ كان النبي(ص) يعبد الله مع زوجاته (مع التي تكون ليلتها) فكان إذا صلى القيام أيقظها، و إذا صلى الفرض كذلك حتى أن سودة قالت له في إحدى المرات صليت خلفك فأمسكت بأنفي كي لا يقطر منه الدم إشارة منها لطول مدة ركوعه، فابتسم ضاحكا من قولها، و تتفق دراستنا مع دراسات كثيرة اهتمت بموضوع التدين في العلاقة الزوجية و علاقته بالتوافق الزواجي وأغلب هذه الدراسات تنص على أهمية التدين في استقرار العلاقة الزوجية و استمراريتها فقد وجد القشعان(2005) في دراسته أن الأفراد الأكثر تدينا كانوا أكثر رضا في علاقتهم الزوجية، كما وجدت نادية جان(2008) علاقة بين مستوى التدين و الشعور بالسعادة، كما ذهب لامبرت و آخرين Lambert & al (2008) إلى أن **السلوكات الدينية و الإيمان** تعتبر شريكا ثالثا في العلاقة الزوجية و لذا نستنتج **أهمية العوامل الدينية** في تحقيق التوافق الزواجي.

5. العوامل الاقتصادية:

في حياة النبي(ص) الزوجية تردد العامل الاقتصادي في مواضع مختلفة، أولا في حياته مع السيدة خديجة التي كانت ذات مال و ثروة و عمل النبي معها قبل زواجه بها فأكسبها أرباحا لم تعهد لها مثيلا، و استمرت حياتهما الرغيدة مدة من الزمن على الرغم من أن النبي(ص) كان ميالا للزهد و غير مهتم بمتاع الحياة الدنيا، و زاد زهده لما أصبح نبيا فكانت كل بيوته خالية من المتاع ليس فيها إلاّ الضروري و المهم، فضاقت زوجاته بهذا الأمر و أصبحن يطالبنه بالنفقة الجيدة و العيش اليسير خاصة عندما تكون له حصة من الغنائم، و هنا نستنتج أن الدخل المحدود الذي لا يوفر الحاجات الضرورية يؤثر بالسلب على التوافق الزواجي، فنحن أمام نساء نبي هذه الأمة و هنّ أمهات المؤمنين و قد سبق الإشارة لتدينهن و حبهنّ للنبي و مع ذلك لم يحتملن قلّة العيش و ضيق الحال فأثقلن على النبي في هذا الأمر حتى جاءه الفرج من السماء بآيات تخيّرهن بين الرضا بزهد النبي، أو المتاع في الحياة الدنيا و الطلاق منه فاخترن العيش مع النبي و القناعة بما يوفره، و منه نستنتج أنّ للعوامل الاقتصادية الجيدة أهمية في ثبات و استقرار الحياة الزوجية و تحقيق التوافق الزواجي، و هذا ما أشارت إليه عدة دراسات نفسية فقد وجد أورEur (2004) أنّ الظروف الاقتصادية السيئة تزيد من المعاناة النفسية

التي تؤثر بالسلب على مستوى التوافق الزواجي، و أن الزوجات يبدين سوء التوافق الزواجي مع الأزواج الفقراء أو الغير عاملين، و يرى فودانوف (1990) أن مستوى الدخل المنخفض يرتبط في كثير من الأحيان بالنزاعات الأسرية، كما وجدت دراسة كيرديك Kurdeck (1993) أن الأزواج الأقل تعليما و الأقل **دخلا** هم أكثر تعرضا لضعف نوعية العلاقة الزوجية، و من ثمّ الطلاق." (بلمهوب2006ص 97) كما وجدت نادية جان (2008)علاقة بين المستوى الاقتصادي الجيد و الشعور بالسعادة، ومنه نستنتج أهمية العوامل الاقتصادي لتحقيق التوافق الزواجي.

6. العامل الجنسي و العلاقة الحميمة:

في حياة النبي(ص) تردد العامل الجنسي مع بعض نسائه، فمثلا مع السيدة سودة التي كانت تجاوز الثمانين من العمر و لم يكن لها رغبة في الزواج لقولها لما خطبها النبي(ص) ما لي على الأزواج بحرص و لكني أحب أن أبعث زوجتك يوم القيامة" و عليهفسوء توافق النبي(ص) مع السيدة سودة في بداية الأمر لم يكن سببه هو فارق السن الكبير الذي بينهما بل **سوء التوافق الجنسي** بسبب مرحلة سن اليأس التي كانت السيدة سودة فيها و ما ينجر عنها من برود جنسي و لقد كان الحل الذي وجدته سودة بمنح ليلتها للسيدة عائشة مناسبا للطرفين، و عليه نستنتج أهمية العامل الجنسي أو التوافق الجنسي في استقرار العلاقة الزوجية، أما مع باقي نسائه فيلفت انتباهنا ما روته نساؤه من أمور خاصة و بتفاصيل دقيقة عن المعاشرة الجنسية و كيف كان النبي(ص) معهن في هذا الجانبو ذكرهنّ لهذه التفاصيل ليس بدافع الكلام فقط بل بهدف إبراز أهمية هذا العامل في تحقيق التوافق الزواجي، لأن العلاقة الجنسية تعتبر من المواضيع الخاصة بالزوجين فقط، فلم تقص علينا نساء النبي كيف كان النبي يقبلهنّ و هو صائم، أو يغتسل معهنّ من إناء واحد في الجنابة؟ بالطبع لكي يوضحن للأزواج أن العلاقة الحميمة تنشأ من التوافق الجنسي و في هذا يرىمرسي (2007) أن **التوافق الجنسي** أساسي في العلاقة الزوجية و يقصد به "استمتاع كلا الزوجين بإشباع حاجته إلى الجنس من الطرف الآخر" و لقد توصلت دراسة الشيخ (1996) إلى أن **الحب و الجنس** هما المحورين الأساسين للتوافق الزواجي." (بلمهوب ك،2006ص 120) و ترى عزة العشماوي(2007) أن العلاقة الحميمة بين الزوجين أساس إقامة حياة أسرية سليمة تتسم **بالود و الحب**، و لا يمكن إنكار أهميتها و انعكاسها على أمور الأسرة كلها." و قد يؤدي سوء التوافق الجنسي إلى سوء التوافق الزواجي و هناك من

يرى بأن سوء التوافق الجنسي قد يعود إلى عوامل متعددة مثل فارق السن الكبير بين الزوجين" (فرحان بن سالم2008ص 48) و كما ترى داليا مؤمن (2004) فالإشباع الجنسي ليس لذة **جسدية قصيرة الأمد** ، لكنه **متعة نفسية طويلة الأمد** تسعد الزوجين و تجعل كلا منهما يسكن للآخر و يطمئن إليه." (داليا مؤمن2004ص 55)و منه نستنتج أهمية العامل الجنسي أو التوافق الجنسي في تحقيق التوافق الزواجي.

7. عامل الحوار و الاتصال بين الزوجين:

لقد كان النبي يحاور زوجاته و يحاورنه حوارا لفظيا و غير لفظي و في مختلف المواقف، في أوقات الغضب و كذا أوقات الترفيه، و في القضايا الدينية و في الأمور العاطفية... فها هي عائشة تسأل النبي(ص) كيف حبك لي؟ فيجيبها مثل عقدة الحبل، ثم تعود لتسأله كيف العقدة؟ فيجيبها: على حالها، و ها هو مع السيدة مارية يذهب إليها و يؤنس وحشتها و يقص عليها قصة السيدة هاجر، و ها هي خديجة تحاور النبي و تطمئنه عند نزول الوحي عليه بقولها والله لا يخزيك الله أبدا، و كيف كان يعلم صفية التي عانت من غيرة نسائه و مضايقتهن لها كيف تردّ عليهن... و المقام ضيق لذكر الأمثلة العديدة التي لمسناها في حياة النبي(ص) و التي من خلالها استنتجنا **أهمية الحوار و الاتصال** الجيد في ثبات و استقرار العلاقة الزوجية و تحقيق التوافق الزواجي.

و يعد الاتصال الجيد من أساسيات التوافق الزواجي عندما يستطيع كل طرف أن يفهم الطرف الآخر، و يعبر عما يرغب به من استجابات دون توقع عدم فهمها من الآخر." (بن سالم ف،2008 ص 42) كما أكدت عدة دراسات على أهمية الحوار بين الزوجين منها دراسة باكر(2004) التي وجدت أن انعدام الحوار بين الزوجين و عجز الأزواج خاصة على التعبير عن عواطفهم هو من مقدمات أسباب انهيار العلاقة الزوجية، و هي نفس نتائج دراسة داهشن (2003) الذي وجد بأن انعدام الحوار بين الزوجين هو السبب الرئيسي الثالث المؤدي إلى الطلاق، و كذلك الخضري(2001) الذي أكّد أن أهم أسباب الطلاق هو فقدان الحوار... و كذا دراسة ديفير و روفايل (Diveir&rofail 1991) عن أهمية التواصل و الحوار بين الأزواج و أثره على التوافق الزواجي وقد توصلا إلى أن أهم ما يساعد على تحقيق التوافق بين الأزواج و تعزيزه هو فنيات الحوار.، و منه فالدراسات السابقة تتفق على أهمية الحوار في تحقيق التوافق الزواجي، أما إذا عدنا لسيرة النبي الزوجية فإننا سنلاحظ الحوار كعامل بارز مع كل زوجاته.

8ـ السكن المستقل:

في حياة النبي الزوجية الجدير بالملاحظة أنّ النبي(ص) الزاهد في أمور الحياة الدنيا القانع بأبسط الأمور و الذي يتمتع بحب نسائه و طاعتهن له و بحب الله الذي يسهل عليه الكثير من الأمور " كنزول الآية التي تخير نساءه بين البقاء معه على حياة التقشف و الزهد، أو الاستمتاع بالخيرات و الطلاق منه لما طالبنه بالنفقة...قد وفّر لكل زوجة منهن سكنها الخاص بها، و على الرغم من تواضع المسكن لطبع النبي(ص) الزاهد إلا أنه خاص بكل زوجة على حدى، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على **أهمية السكن المستقل** في تحقيق التوافق الزواجي و تجدر الإشارة إلى أن النبي(ص) لو أراد أن يسكنهن في بيت واحد لفعل و لقدر على التحكم فيهن، لأنهن أمهات المؤمنين الطائعات العابدات المحبات لله و لرسوله المستعدات لتنفيذ كل أوامر الله و نبيه، إلا أنه عليه الصلاة و السلام وفّر لكل واحدة منهن منزلها الخاص تجد فيه راحتها مع النبي عندما يكون اليوم لها، و تنظمه بطريقتها الخاصة و ترتاح فيه... و بالتالي فالسكن المستقل أصبح مطلبا لا يمكن الاستغناء عنه خاصة في وقتنا الحالي، و حتى في ديننا الإسلامي فمن حق الزوجة على الزوج توفير البيت الزوجية بالطبع كل حسب استطاعته المادية، لا يشترط نوع البيت و لكن المهم أن يوفر الاستقلالية و الخصوصية التي تحتاج إليها المرأة في منزلها، حتى تتمكن من تأسيس نظامها الخاص بها أي البيت الذي أصبحت مسؤولة عنه و ربة له، أما إذا كانت مع أهل الزوج فهي مجبرة على اتبعاع نظام البيت الأصلي و قوانينه الخاصة وهذا ما يؤثر بالسلب على التوافق الزواجي.

و لقد تناولت عدة دراسات أهمية السكن الفردي أو المستقل في تحقيق التوافق الزواجي منها دراسة مسعودة كسال(1986) التي وجدت أن من أسباب الطلاق هو السكن مع الأهل و كذا دراسة حاج زيان وهيبة(2001) التي وجدت بأن السكن الفردي من العوامل التي تساعد على الاستقرار الأسري و التوافق الزواجي، كما وجدت بلمهوب(2006) أهمية السكن المستقل في شعور الأفراد بالرضا، و كما تقول العشماوي(2008) " بالرغم من الفائدة التي تعود على حياة الأسرة من وجود أهل الزوج(ة) إلا أن كثيرا من المشاكل تنشأ نتيجة تضارب علاقة الزوجين بأهلهما، و كثيرا ما يكون من الصعب على الأهل تقبل فكرة استقلال أبنائهم، وانفرادهم ببيت خاص

بهم يديرونه كما يشاؤون."وعليه نستنتج أهمية السكن المستقل في تحقيق التوافق الزواجي.

9. مدّة الزواج:

في سيرة النبي الزوجية كانت السيدة خديجة الزوجة الوحيدة التي عاش معها طويلا ربع قرن (خمسة و عشرون عاما) و الزوجة الوحيدة التي لم يتزوج عليها في حياتها و الزوجة الوحيدة التي تزوج بها بصفته محمد البشر، و رزق منها ستة أطفال و كما قال صلى الله عليه و سلم (رزقت حبها) تليها في المرتبة السيدة عائشة التي عاشت معه تسع سنوات و كان حبهما حديث العام و الخاص و مات على صدرها، بعدها حفصة التي عاش معها سبع سنوات و كانت منافسة قوية للسيدة عائشة....و عليه نلاحظ أن تعلق النبي بزوجاته متأثر بمدة زواجه بهنّ، فهو لم يستطع أن ينسى خديجة التي عاش معها 25 عاما و ظل يذكرها إلى أن لحق بها، و لا واحدة من النساء نزلت منزلة عائشة في قلب النبي و هي الزوجة الثالثة (أما سودة فقد تخلت عن النبي زوجا في الحياة الدنيا).. و بالتالي نستنتج أنه كلما زادت مدة الزواج زاد التوافق الزواجي، لأن مدة الزواج تزيد من عشرة الزوجين مع بعضهما البعض، و يعتاد كل منهما على الآخر في حياته و يألف وجوده و يتعرف عليه أكثر، وكلها أمور تساعد على التوافق في العلاقة الزوجية، وقد ذهبت بعض الدراسات إلى أن التوافق الزواجي يتأثر بمدة الزواج مثل دراسة راوية الدسوقي (1986) التي وصلت إلى أنه كلما زاد عدد سنوات الزواج ازداد التوافق الزواجي و هي نفس نتائج فونية الجمالية(2008) التي وجدت أن التوافق الزواجي يتأثر بمدة الزواج كما وجد كومارKumar(1994) و(2010)Anita Baliأن طول فترة الحياة الزوجية يسهم في زيادة التوافق الزواجي."

10. وجود الأطفال:

كانت خديجة في بداية الأمر الزوجة الوحيدة التي أنجبت للنبي و كانت عائشة شديدة الغيرة منها، و تذكرها في كل مرة بسوء للنبي(ص) فيرد عليها (إنها كانت وكانت، و كان لي **منها الولد**) و في حديث آخر (آمنتني إذ كذبني الناس...و **رزقني الله منها الولد** دون غيرها من النساء" لقد ميّز النبي السيدة خديجة المعروفة في قومها بالطاهرة صاحبة التجارة و المال و الجمال و الحسب و النسب، التي وقفت مع النبي(ص) في أصعب مراحل حياته و كانت حبه الكبير... و غيرها من الخصال المميزة، عن غيرها من النساء **بأنها التي أنجبت له الولد**، أي ترك كل هذه الصفات الحميدة **و ذكر الولد**، و

عوامل التوافق الزواجي من سيرة النبي (ص) الزوجية

هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أهمية إنجاب الأطفال في حياة النبي(ص)، و يتأكد لنا هذا الأمر في سيرته الزوجية مع السيدة مارية القبطية الجارية التي أهداها ملك مصر للنبي(ص) و حملت منه بولده إبراهيم والفرحة التي غمرت قلبه بميلاد ابنه، فأعتق مارية و أصبحت زوجة كغيرها من النساء كذا اهتمامه الشديد بها في مرحلة الحمل، حيث نقلها إلى مكان أحسن توفيرا لراحتها، و كان تعلقه بولده و بأم ولده يكبر و يزداد بمرور الأيام، حتى أن نساء النبي(ص) الأخريات لم يكن لهنّ موضوع غير مارية وولدها و اهتمام النبي بها و تعلقه بالولد إلى أن توفي و لم يبلغ السنتين من العمر فحزن النبي لذلك حزنا كبيرا.

و في دراسات علم النفس وجدتAnita Bali et al (2010) أن لإنجاب الأطفال أهمية في استقرار العلاقة الزوجية و أن العقم يسبب سوء التوافق الزواجي، في حين وجدت دراسة Alfons&Oranthinkal (2007) أن وجود الأطفال يؤثر سلبا على الرضا الزواجي، كما بينت thorton (1977) أن الرضا عن الحياة الزوجية ينخفض مع قدوم الأطفال، و النساء اللاتي ليس لديهن أطفال يعانين من عدم السعادة الزوجية."

نلاحظ اختلاف الدراسات حول علاقة إنجاب الأطفال بالتوافق الزواجي، هل هي علاقة سلبية أم إيجابية؟ فهناك من يرى أن الرضا عن الحياة الزوجية ينخفض بقدوم الأطفال و هناك من يرى أن عدم وجودهم يؤثر سلبا على التوافق الزواجي، وحسب اعتقادنا فدوافع الأمومة و الأبوة دوافع بيولوجية غريزية و أن من أهداف الزواج في مجتمعاتنا العربية (الجزائرية) هو تكوين أسرة بإنجاب أطفال و عليه فسوء التوافق المرتبط بوجود الأطفال يرتبط حسب اعتقادنا بعامل آخر و هو المسؤولية التي تأتي مع هؤلاء الأطفال، و بالتالي فليس وجود الأطفال هو السبب في خفض الرضا الزواجي و إنما عدم القدرة على تحمل المسؤولية التي تظهر بصفة جدية مع مجيء الأطفال، و على العموم فسنعود إلى مرجعنا في الدراسة نبي الله لنؤكد أهمية هذا العامل، فهناك بعض الأحاديث التي قالها النبي(ص) ليرغب في الزواج، نذكر منها " **الولد ثمرة القلب**" و قوله " **ما ولد في بيت غلام إلا أصبح فيهم عزّ لم يكن فيه**" و بالتالي نتبنى نتائج الدراسات التي وجدت تأثيرا إيجابيا لوجود الأطفال على التوافق الزواجي، و نستنتج **أهمية وجود الأطفال** في استقرار العلاقة الزوجية.

11. فارق السن بين الزوجين:

تردد عامل السن في سيرة النبي(ص) مع عدة زوجات، فلقد كانت السيدة خديجة تكبره بخمسة عشرة (15)سنة و السيدة سودة تكبره بحوالي الثلاثين عاما، في حين كان يكبر السيدة عائشة بحوالي أربعين عاما، و السيدة صفية بما يقارب الأربعين كذلك... و على الرغم من كبر سنهن على النبي(ص) أو كبر سنه عليهنّ إلا أنه حقق التوافق الزواجي معهنّ كلهن غير أنّ السيدة سودة كما أشرنا كانت قد بلغت سن الشيخوخة و مرحلة اليأس مع عدم رغبتها في الزواج (في العلاقة الجنسية)، فمنحت ليلتها للسيدة عائشة لتحتفظ بالنبي زوجا لها في الآخرة، و بالتالي فعامل السن هنا ارتبط بالعامل الجنسي (البرود الجنسي) و هو الذي أثر قليلا على حياة السيدة سودة لكنها وجدت الحل بمنح ليلتها لعائشة ولقد اهتمت عدة دراسات بعامل السن و تأثيره على التوافق الزواجي، و هناك من الباحثين من حاول تحديد السن الملائمة للزواج بالنسبة للرجل و المرأة منها دراسة Burgess &Cattrel (1952) التي توصلت إلى أن السن الأنسب للزواج هو ما بين 28 فأكثر...و خلص كل من عبد الرحمن ودسوقي (1974) في دراستهما إلى أن أنسب سن للزواج في المجتمع المصري هو 24/20 للإناث و من 30/25 للذكور." نلاحظ من خلال هذه الدراسات التي تحدد السن الملائم للزواج أنها تحدد دائما سن المرأة أصغر من سن الرجل، و عامل فارق السن الملاحظ في حياة النبي الزوجية لم يؤثر على توافقه الزواجي، و ترى فرجاني (1989) أن " فارق السن يعد سببا قويا في سوء التوافق الزواجي و لكنه ليس العامل الأوحد بل هناك عوامل أخرى، مثل نوعية شخصية الزوجين من حيث السمات المميزة لكل منهما و مدى الاختلاف و الائتلاف بينهما.. و نحن نتفق مع فرجاني في بعض ما جاءت به (فارق السن ليس العامل الأوحد) فعامل فارق السن كما ذكرنا لم يؤثر في حياة النبي لأنه ارتبط بعوامل أخرى مثل نوعية شخصية النبي و كذا زوجاته، و مدى تعلق نسائه به و تعلقه بهنّ بالإضافة إلى أسلوب الاختيار الذي كان عن قناعة في جميع زيجاته، و نضيف إلى ذلك عامل التدين الذي كان في حياة النبي، و كذا العوامل العاطفية و السلوكية و العامل الجنسي و هي من العوامل التي ميزت حياة النبي الزوجية. و أثّر فارق السن مع سودة لأنه ارتبط بالعامل الجنسي، و بالتالي نستنتج أن فارق السن لا يؤثر سلبا على التوافق الزواجي إذا كان محاطا بعوامل أخرى مثل النضج الانفعالي و الحب و سمات الشخصية، و التوافق الجنسي.....

12. سمات الشخصية و النضج الانفعالي:

إذا عدنا لسيرة النبي(ص) الزوجية، نجد بأن نبينا و هو الغني عن التعريف صاحب شخصية متزنة يمتاز بالحكمة بالأخلاق الحسنة و معصوم عن الخطأ أي ناضج انفعاليا و هذا ما ساعده على التوافق مع كل نسائه، و التصرف السليم في بعض المواقف الصعبة التي تعرض لها كحادثة الإفك، أو مواقف الغيرة بين نسائه خاصة غيرة السيدة عائشة، أو وفاة ابنه...إلخ كما امتازت كل زوجاته بهذه الصفة ولكن كل منهن حسب شخصيتها، فخديجة كانت الطاهرة المتزنة، و سودة كانت الأم المربية التي اعتنت بالنبي و بناته، و فضلت الحياد في الحياة الزوجية وأم سلمة التي كان رأيها سديدا في موقف الحديبية حيث لم يطع المؤمنين أمر النبي(ص)، و زينب التي شهدت بالحق في عائشة (في حادثة الإفك) لما استشارها النبي(ص) على الرغم من غيرتها الشديدة من عائشة و هذه الأخيرة التي احتملت و صبرت اتهام الناس لها في شرفها و طهارتها، و مارية التي تكبدت الحزن و كتمته في صدرها بعد موت ولدها... و غيرها من المواقف التي تدل على اتزان شخصية زوجات النبي و نضجهن الانفعالي. و منه نستنتج أهمية النضج الانفعالي في ثبات و استقرار العلاقة الزوجية، و بالتالي تحقيق التوافق الزواجي.

" إن الشرط الأساسي للتوافق الزواجي في نظر علم النفس، هو النضج الانفعالي لكلا الزوجين و الذي يعد مؤشرا لمستوى التطور في قدرة الفرد على إدراك ذاته وإدراك الآخرين بموضوعية، و ليصبح قادرا على التمييز ما بين الحقيقة و الخداع... و تزداد المشكلات بين الزوجين كلما انخفض النضج العاطفي لكليهما أو لأي منهما أو توقف عند مستوى معين... و يعرف أحمد عزت(د/سنة)**النضج** بأنه قدرة الفرد على ضبط انفعالاته و التعبير عنها بصورة ناضجة متزنة، بعيدة عن تعبيرات الطفولة و عن التهور و الاندفاع، أما فهمي(1998) فيعتبره مؤشرا للصحة النفسية." (بلمهوب2006 104. 103) و لقد وجدت مسعودي زهية(2002) علاقة دالة بين النضج الانفعالي و التوافق الزواجي " و يدل النضج الانفعالي على ثبات الشخصية و اتزانها، فالشخصية الغير متزنة تمتاز بالتهور و التسرع و عدم القدرة على التحكم في الانفعالات السلبية، و عدم القدرة على التوافق الذي هو من مؤشرات الصحة النفسية (صالح حسن الداهري1998ص 98) و إذا كان الفرد متهورا و متسرعا و لا يسيطر على انفعالاته عند الغضب، فكيف يمكنه التوافق و الانسجام مع طرفه الآخر؟ و يرى سعيد عزيزة(2000) " أن **ثبات الشخصية الانفعالي** و الثقة بالنفس من العوامل التي تساعد

على تحمل مسؤولية الأسرة و الزواج و بالتالي تحقيق التوافق الزواجي".(بتصرف سعيد عزيزة2000 ص171) و يرى حسام زكي(2008) " أن النضج الانفعالي للزوجين يعد مؤشرا على المرونة، كما أن الفرد الناضج انفعاليا **قادر على حل مشكلاته** بطريقة مناسبة، كما أنه **فاهملسلوكه** و **لسلوك الطرف الآخر** و قادر على تحمل المسؤولية." (حسام زكي2008ص79) و بالتالي نفهم أن من سمات الشخصية المتزنة النضج الانفعالي شرط أساسي للزواج.

خاتمة:

يعتبر موضوع التوافق الزواجي من المواضيع المهمة في علم النفس، لأنه لا يتعلق بتوافق الزوجين و بالتالي صحتهما النفسية فحسب، بل يمتد إلى أطفالهما و أسرهما و بالتالي المجتمع الذي نواته الأولى هي الأسرة، و تعتبر النتائج المتوصل إليها امتدادا لدراسات كثيرة في مجال التوافق الزواجي، و لكنها **تتميز عليها** في كونها، كان لها **فضل السبق** في ربط موضوع التوافق الزواجي بسيرة سيد البشر من منظور علم النفس و تسليط الضوء على هذا الجانب في مجال الصحة النفسية.

المراجع:

1. بن مانع أحمد رضوان 1983 " منهجية البحث العلمي" دار النور للنشر و التوزيع ط4 عمان الأردن.
2. حسين بن علي بن مانع العمري 1423هـ 2002 م رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى كلية التربية العربية السعودية
3. حمود القشعان2005 دور الاعتدال في التدين لدى الزوجين في إيجاد التكامل و الرضا النفسي في العلاقة الزوجية، مؤتمر التنمية الأسرية الأول الكويت.
4. سناء محمد سليمان 2005 التوافق الزواجي من منظور إسلامي نفسي اجتماعي عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى.
5. سهير حسين سليم جودة 2009 برنامج إرشادي مقترح لتعزيز التوافق الزواجي عن طريق فنيات الحوار رسالة ماجستير غير منشورة الجامعة الإسلامية غزة تخصص الصحة النفسية.
6. شاكرسوسن الجبلي 2005 أساسيات بناء الاختبارات و المقاييس النفسية و التربوية مؤسسة علاء الدين للطباعة و التوزيع ط1 دمشق سوريا.
7. عبد المنعم أحمد محمد 1988 " طرق البحث العلمي و مناهجه" مؤسسة الوفاء للطباعة الطبعة الثانية دمشق سوريا
8. عزة العشماوي 2007 تأملات في الزواج دار العربي للنشر القاهرة.ط1
9. فاطمة الزهراء عمرون 2010 أثر التدين في العلاقة الزوجية و علاقته بالتوافق الزواجي رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الجزائر
10. كلثوم بلمهوب 2006 الاستقرار الزواجي منشورات الحبر الجزائر ط1
11. كمال إبراهيم مرسي 2008 الأسرة و التوافق الأسري دار النشر للجامعات القاهرة الطبعة الأولى.
12. محمد بيومي خليل 1999 سيكولوجية العلاقات الزوجية دار قباء مصر.
13. وهيبة حاج زيان 2001 عوامل التوافق بين الزوجين في الأسرة الجزائرية دراسة وصفية لتأثير بعض العوامل الحديثة على التوافق الزواجي رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الجزائر..
14-Kiecolt – Glasser. J.k. & Newton.T ;L 2001 Marriage and health His and hers psychological Bulletin 127/
15-Giblin paul 1996 spirituality- marriage and family. Family journal conseling and therapy for couples and families. V4 n3 p 46-52 jan
16-Eur, J(2004): Economic stress and marital adjustment among couples: analyses at the dyadic level. European" Journal of Social Psychology".Vol 34.Pp 519-532